المَلَكِيَّةُ* في الفكر المصري القديم

م.د.زينب عبدالحافظ جاسم
ا.د. سهيلة مرعي مرزوق
جامعة البصرة – كلية التربية للبنات

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٦/٥
تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٧/٥

الملخص

إنّ الملكيّة في مصر القديمة تقوم على تأليه الملك ابن الاله (رع) لذا فأن الملوكية بالنسبة لمصرهي ملكيّة إلهية تستمد سلطتها مباشرة من الالهة (رع) فالملك يمثل السلطة الدنيوية امام مجمع الالهة .

لذا فأي حكم او أمر هو حكم إلهي وأوامر إلهية واجبت الطاعة والتنفيذ ولا يمكن مخالفتها, لذا فأن سلطة الملك هي سلطة مطلقة , كما ان الملكيّة في مصر على الرغم من الصفة الالهية لها لكن حَددت سلطة الملك بموجب التقاليد والاعراف التي السائدة آنذاك, وقد تغيرت طبيعة الملوكية خلال فترات حكم مصر الفرعونية من الدولة القديمة الى نهاية الحكم المصري واحتلال الاسكندر المقدوني لمصر.

Royalty in ancient Egyptian thought

Dr.Zainab Abdel Hafez Jassim
Prof Dr. Suhaila Marei Marzouk
University of Basra - College of Education for Women

Abstract

The royalty in Egypt different than old Iraqi royalty . That's because how the old egyptan see the King they see him as a god than became the son of god (Ra) .So the royalty in Egypt get there power from the god(Ra).

So the god reprsent the earth authority in front of the gods its also reprsent the connection between the gods and people ,so that any Judgement or order its conider god order should be obey and executed and cann't be refused in any way .So the king an tharty is absolute order also inspite of the royal authwity is absolute orde but its determind by the king authorty by the tradition at that time .

Its changed the royal authorty during pharaonic from the old nation untle the end of the Egypion Govermant and the occupation of the Alexander the great.

- **اصل الملوكية في مصر**

كان النظام الملكي هو الحكم السائد اثناء العصر التاريخي وتمكن الملوك المصريون من حمل الصفة الالهية في مصر الفرعونية وتعود الاصول الاولى لنظام الملكية الى المرحلة التي سبقت العصر التاريخي مما ترك اثره الواضح في تشكيل هذا النظام حيث تمكن الانسان في تلك المرحلة من اقرار المبادىء وبلورة القيم والافكار التي اكتسبها وصنعها طوال عصور ما قبل التاريخ(١).

كانت الحضارة المصرية النموذج الاكثر شهرة التي جسدت فيها نظرية الطبيعة الالهية للحكام حيث ارتكز النظام السياسي في مصر الفرعونية على فكرة الملكية الالهية حيث ان الملك في نظر رعاياه هو الاله حور المجسد في صورة بشرية وهو يتساوى مع غيره من الالهه فيما له من حقوق ويجب على الشعب اطاعته وتقديسه فهو مصدر السيادة في الدولة ومنبع العدل والحق(٢)،والنظام السياسي في عصر ما قبل الاسرات تواجد فيه الكيانات الصغيرة المتعددة المستقلة بحدودها وحكامها والهتها ورموزها الخاصة ويقوم على راس تلك الكيانات حكام(٣) ، وتذكر بردية تورين اسماء الحكام قبل عصر الاسرات فقد لقبوا بالارواح وانهم كانوا اتباع لحور كما عبر مانتيون عنهم بانهم ارواح الموتى او انصاف الالهه وهم حكموا كأسرة من الالهة وان الاله بتاح جلس على العرش (٩٠٠٠ سنة) واقلهم جلس على العرش (٣٥٩ سنة) ومجموع حكمهم بلغ (١١٩٨٥عاماً) ، اما الحكام انصاف الالهة فقد حكم تسعة منهم ٨٥٦عاما واخرهم عامين وعرفوا بأتباع حور وقد وصفت بردية تورين الحكام الذين سبقوا الاسرة الاولى بالارواح الهائمة (آخو) ، وهذه الاساطير من اجل تبرير الوهية الملك بارجاعها الى ان اسلاف هذا الملك كانوا آلهة والملك هو الوراث الشرعي للعرش ويحمل صفة القدسية(٤).

والملكيّة في مصر وأن أفاءت على الملك القداسة والالوهية فأنها في الوقت نفسه حدت من سلطانه بما فرضت عليه من واجبات وما القت على كاهله من مسئووليات(٥)، وقد اعتمد نظام الملكية على عدة عناصر حاسمة من بينها العوامل البيئية والاقتصادية والدينية والسياسية واول معالم لنظام الملكية المصرية هو ان مصر كان يحكمها اساسا آله يضمن للبلاد الامن والاستقرار ونظام الملكية كان له فكرة ناشئة قبل قيام المملكة المتحدة الاولى وسرعان مانمت هذه الفكرة ودعمها التوحيد السياسي والانتصار العسكري(٦)، حيث ان الاساطير تتحدث عن ان العالم كان محكوماً بأسرة إلهية كان مركزها عين شمس وهو العصر الذهبي في تاريخ حكم الالهة للعالم (٧)ويرى المصري القديم الفرق بين البشر والالهة وعناصر الكون الاخرى من حيث الجوهر بانها ذات طبائع متقلبة الاشكال يتمم بعضها بعضاً فهو يرى السماء بصورة امراة او بقرة او قد تكون الشجرة الالهة والحق قد يعتبرفكرة مجردة او إلهة او بطلاً إلهياً كان يقيم يوماً على الارض

والاله قد يصور رجلاً او صقراً او رجلاً له رأس صقر، ويوصف الملك بانه الشمس[٨] فالشمس هو الهاً اسمى وهو اول ملك عرفته مصر في العصور الاولى ويُذكر في كتاب الموتى (انى الاله آتوم في شروقه (الواحد الوحيد) أتيت إلى الوجود في نون ...أني (رع) الذي نهض في البدء وحكم ما صنع ... اني الاله العظيم الذي اولد نفسه نظير (تون) الذي صاغ اسماء الالهه ؛ليوجدوا كالهة..... انه رع)[٩] ان رع في ظهوره الاول حين بدأ يحكم ما يصنع اي انه ظهر في صورة ملك[١٠] ، والملك هو الصورة الحية للاله على الارض (حور) احياناً و(ستخ) احياناً اخرى او (حور ستخ معا)[١١]، وكان الاله حورس هو صورة الملك الحي الذي آل اليه عرش جب اي مُلك الارض والقوة والسلطان وهما المهمة الخاصة لاتوم ، وقد اسس الخالق الملكيّة على (اول ارض برزت من جوف لجة الماء وكتبت قوانينها) واتخذ حورس من قوى الدنيا افراد لحاشيته وهم يدينون له بالطاعة المطلقة ،وتعتبر الملوكية اعظم تجسيد للسلطان الدنيوي الذي لا يمكن مقارنته من حيث المجد الا بسلطان (رع) [١٢].

فالملكيّة في مصر هي الهيه ارتبطت بالحاكم وقدسيته منذ نشأت الاسرات ومرت هذه الالوهية بفترات من الضعف في عصور الاضمحلال والفوضى وسيطرة حكام الاقاليم على مقاليد السلطة كلاً في اقليمه مما جعل الحكومة المركزية لها الشكل بالتقديس والالوهية دون السلطة التي اصبحت بيد حكام الاقاليم.

فبعد توحيد مصر (٣٢٠٠-٢٧٨٠ق.م) اعتمد نظام الحكم القائم على مفهوم السلطة الالهية المطلقة المتمثلة بشخص الملك – الاله وهوتجسيد مادي وروحي للاله[١٣]حيث حمل عدة القاب في عصر الدولة القديمة (٢٧٨٠-٢٢٨٠ق.م) توضح حمله الصفه الالهية وحقه الالهي في حكم مصر العليا والسفلى وتذكيره لشعبه دائما بانه وريث الالهة[١٤] فكما ذكرنا لقب بالاله حور، واتخذ لقب السيدتان(نب – تى) وهي نسبة للالهة الحامية للوجه القبلي (نخبت) و(واجيت) حامية الوجه البحري وكذلك لقب بالاله الطيب والاله الكامل (نتر- نفر) وكذلك بحورس من ذهب وكذلك (ابن رع)[١٥] فمصر في الدولة القديمة (٢٧٨٠- ٢٢٨٠ ق. م) كان يحكمها اله له معرفة وقدرة غير محدودتان وكان من الصعب التفريق بين الملك والدولة [١٦]ولم تكن الوهية الفرعون بانه خالق الكون ومدبره وانما كان هو حاكم الشعب بشريعته وقانونه وبارادته تمضي الشئون وتقضى الامور[١٧].

وبدات سلطة الملكيّة تضعف منذ الاسرة السادسة (٢٤٢٠-٢٢٨٠ق.م) في الدولة القديمة فظهرت اللامركزية فقللت من آلوهية الفرعون ورققت من هالة التقديس التي كان يحاط بها اويحيط بها نفسه ونزلت من قدر الملك ومركزه ورفعت من شان النبلاء وحكام الاقاليم ولم يعد ذلك الملك الاله المترفع اوالحاكم الجبار فوق البشر والذي يرجو رعاياه عطفه ورضاه فاصبح

شخصاً غير معصوم يتحدث عن ضعفه وخطاياه ونرى الصورة واضحاً من خلال وصايا ملكاهناسيا* (خيتى الرابع) (٢١٣٤ق.م) الى ابنه (مرى كا رع)[١٨]، لقد انجرفت قيم الملكية في تيار طاغ من العنف والاغتصاب فان اشتداد اللامركزية جعل بعض الحكام من غير الفراعنة يشعرون بقدرتهم على الاستقلال فأقموا حكومات مستقلة متنافسة فيما بينها ومتعادية[١٩] .

ان ضعف الملكية ادى الى ضياع قدسيتها وهبطت من عليائها كثيراً فلم تعد للملكية تلك الهالة القديمة من المهابة والتقديس والملك بعد ان كان الهاً اكثر منه انساناً اصبح انساناً اكثر منه الهاً [٢٠] فقد كانت مصر تسير ولو عن غير هدى من الحكم الالهي المطلق نحو نوع من الديمقراطية[٢١], فاصبحت الالوهية الملكية في عهد الدولة الوسطى (٢١٣٤-١٧٧٨ ق.م) ان الملك اصبح ايضاً الراعي الصالح المسؤول عن رعيته الساهر على مصلحة شعبه المدافع عنه والمؤمن بالحق والعدل، وفي الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٨٠ق.م)اصبح الملك ايضاً يقود الجيش في الحروب باسم الاله آمون – راع الذي يمنحه سيفه وعلمه الالهي[٢٢] .

-الملوك في الفكر المصري القديم

كان الملك أو الفرعون إلهاً بين البشر , ففي عهد الأسرتين الأول(٣٢٠٠-٢٩٨٠ق.م) والثانية (٢٩٨٠-٢٨٨٠ق.م) تصور المصريون أن روح الملك من روح الإله حورس , ولذلك أتخذ الملك لقب حورس , وفي عهد الأسرة الثالثة (٢٧٨٠-٢٦٨٠ق.م) أصبح الملك ينظر إليهِ بأعتباره أبناً للإله رع (الشمس) , ومنذ الأسرة الرابعة (٢٦٨٠-٢٦٥٠ق.م) أصبح الملك الصورة المجسدة للإله رع ؛ وأبناً جسدياً لهُ وأضيف لقب رع إلى ألقاب الملك مثل خفرع ,وظل هذا التصوير قائماً طيلة العصور التالية وهناك بعض الوثائق تصور كيفية ولادة الفرعون من جسد الإله رع , بعد أن يلبس زي الفرعون ويتقمص شخصيتهُ بعد زواجهُ من الملكة[٢٣] . فمنذ المملكة القديمة(٢٧٨٠-٢٢٨٠ق.م) كان لفرعون لقب ذو شأن وهو أبن رع , وعلى الرغم من أنه الأبن الأوحد لـ(رع) في الأساطير هو الإله – شو إله الهواء , لكن الفرعون جُعل الأبن الأوحد لكي يحكم أهم شيء بالنسبة لـ(رع) وهو أرض مصر , وهي أبنة رع الوحيدة وهذه الازدواجية تمثل العناية التي تحث عليها كتب الحكمة في رعاية الزوجية وعنايتهُ بزوجتهِ لأنها حقل مفيد لسيدها , كذلك الحال بالنسبة للملك في مصر فهو صاحبها وسلطانها والمسؤول عنها[٢٤] , وأن الملك هو الأبن الجسدي الذي جاء من صلب الإله – الشمس (رع), وهم لا ينكرون مولدهُ من امرأة , غير أن أباه إله بلا شك , فكان من واجب رع أن يضمن لأرض مصر حكماً إلهياً ولتطلعهُ إلى المستقبل كان يتردد على الأرض ليلد لها حكامها, أن فكرة ألوهية الملك بالنسبة للفكر المصري القديم تقوم على أساس مبدأ الأبدال أو التبادل أو التمثيل , والإله من حيث وظيفتهِ شديد الأتساع وغير محسوس , وهو يمثل شيئاً في الكون كالسماء مثلاً , وهذا الإله يخصص لهُ مكان في

عالمنا يجد فيهِ الراحة والطمأنينة فيخصص لهُ مكان كالمعبد أو الهيكل وفي هذا المعبد يُجعل لهُ مكان يُظهر فيه صورة أو صنماً ؛ وهذا الصنم هو ليس إله أنما هو وسيلة من الحجر أو الخشب أو المعدن تتيح لهُ المثول للعيان , وهذا قول المصريين في أحد قصص الخليقة , حيث كان الإله الخالق عن الآلهة الأخرى "صنع أجسادهم وفق رضاهم فدخل الآلهة أجسادهم من كل الخشب , من كل الحجر, من كل الجبس ... فأتخذوا لأنفسهم بها شكلاً " فهذهِ التماثيل أنما هي لتكون أمكنة لهم يتخذون شكلاً تراهُ العين، فيرتاج الإله آمون مثلاً حين يأوي إلى تمثال في شكل إنسان او كبش أو أوزة قد أنتقيت لهُ وهذا التقمص يختلف في كل مرة بأختلاف الغاية من ظهورهِ , أي كأنهُ إنسان لهُ منازل شتى وأثواب متباينة , وهذا التمثال أو الحيوان المقدس هو قشرة جوفاء للإله , ويظهر فيها كلما دعت الحاجة لذلك ؛ فعندما يخاطب التمثال للعبادة ينوب عن الإله بالتمثيل[٢٥] .

فالملك في مصر هو أحد الآلهة وممثل البلاد بين الآلهة وهو الوسيط الوحيد بين الشعب , والآلهة والكاهن المعترف بهِ الأوحد للآلهة كلها , فالمصري لا يفرق بين الرمزية والمشاركة فإذا قال أن الملك هو (حورس) لم يقصد بأن الملك يلعب دور حورس ؛ بل قصد أن الملك هو حورس وبأن الإله موجود فعلاً في جسد الملك في أثناء النشاط المعين فكيف للملك أن يكون الإله الملك إذا لم يكن الإله الملك حالاً فيهِ فيصبح الأثنين واحداً :

((أنهُ سيا إله الإدراك " أنهُ رع " الإله الشمس ؛ " أنهُ ختوم " خالق البشر على دولاب الخراف ؛ " إنهُ باستيث " , الإلهة الحامية ؛ " إنهُ سخمت " إلهة العقاب)), فكل الصفات من فهم وحكم وأكثار الناس والحماية والعقاب كلها من خواص الملك كل منها ويظهر في إله وإلهة والملك هو كل هذه الآلهة أو الآلهات، ووصف الملك بأنهُ من خصاله الإلهية هو سيا الإدراك وهو(حو) النطق الآمر , وهو سخمت آلهة العقاب وهو باستث الآلهة الحامية[٢٦] , وهو إله في الداربين الفانية والباقية[٢٧] , فهو إله بعد الموت وينتقل إلى زمرة الآلهة[٢٨] , فهو يتمتع بعلم آلهي فلا تخفى عليه خافية ولا يوجد شيء في الدنيا لا يعلمهُ فهو توت إله الحكمة , وكل ما يتفوه بهِ يجب أن ينفذ بل لا بد أن يتحقق فوراً , وذلك لأن مشيئة الملك وإرادتهِ هي القانون فهو يعمل ما يجب أن يُعمل , ولا يرتكب أثماً أو بغضاً أو حقداً , فلا يستطيع المواطن لذلك ألا التسليم والخضوع لأوامره ونواهيه , وهذا يترتب عليه أنه لم يكن هناك قواعد قانونية مكتوبة أو مفصلة فلم يكن هناك حاجة ما دامت كلها متمثلة في شخص الإله الذي كان دائماً على أستعداد لإصدار الأوامر اللازمة لما يجب أن تكون عليه نظم الدولة وطرق التعامل فيها, وربما كان من أسباب عدم وجود قواعد قانونية , الخوف من تغير السلطة الملك شخصاً فكان القضاة يحكمون

حسب العادات والتقاليد المحلية التي يرون أنها توافق الإدارة الملكية التي ربما تتغير إذا أقتضت رغبتهَ ذلك[٢٩] .

ولنعود إلى اسماء الملك ففي عهد الدولة القديمة أطلقوا عليهِ لقب الإله الطيب , وسموا أبنتهِ بالبيت الكبير (برعو) , وهي الكلمة التي أُطلقت فيما بعد على الملك نفسه ؛ ثم أزدادت ألقاب الملك وهما حور الذهبي , ولقب سا رع أو أبن الشمس وهو يعبر عن أرتباط العرش بالكهانة , وهو يعبر عن تبعية الملك الوثيقة للإله رع , وكهنة أون مما أضعف نفوذ الملكية وقلل هالة التقديس , ولم يعد الملك الإله العظيم بل الإله الطيب أبن رع , فبدأ التنازل من قبل الملك وسمحوا لأنفسهم أن يتزوجوا في آخر الأمر فأنهار التقديس والحجاب بين الشعب والإله إلى الأبد[٣٠] , ومما يدل على ذلك الحال هو ما وصفهُ الحاكم المصري إيبور عاش أواخر عصر الملك بيبي الثاني (تقريباً٢٢٧٨-٢١٨٤ق .م) أو أحد خلفائهِ الضعاف فيصف حال البلاد وثم في الكهانة , فيجيب الملك الحاكم على ضعفهِ[٣١] فيقول :-

" لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد

الحقيقة أنك أوصلت البلاد إلى هذا الدمار

والحقيقة أنك تتفوه كذباً .... "[٣٢]

وهي فترة ضعفت فيها سلطة الملك , وبرزت سلطة البلاط " الجهاز الإداري فأصبح الملك محاط بكبار الموظفين الذين يغدق عليهم الأمتيازات فتحولوا إلى رجال لهم سلطات ونفوذ فأقتطعوا جانباً من السلطة الرئيسية وكانوا يجمعون في شخصهم أعلى مناصب الدولة والأقوى الهبات من الفرعون[٣٣] , الأمر الذي تسبب في أضعاف الملك وأقتصارهُ للسلطة وظهر تقليد جديد شكل خطراً على سلطة الملك المطلقة إذ ساد نظام توريث الوظائف فينقل المنصب من الأب إلى أبنهِ البكر فكانت موافقة الملك مطلوبة لكن بمرور الزمن أصبحت شيئاً أو أجراء روتيني[٣٤].

وهنا يجب بنا العودة إلى طبيعة التمثيل أو الاستبدال في شخص الملك أو الفرعون , حيث جاز للملك الذي يمثل الإله أن يمثلهُ إنسان آخر لأن وظيفة الملكية عديدة النواحي وواسعة, بحيث يعجز فرد واحد من القيام بالحكم المطلق فكان لا بد من توكيل أفراد آخرين ببعض المسؤوليات , ولكن هناك طرق في التمثيل فأن الكاهن أو الموظف يعمل نيابة عن الملك لا كأنهُ هو الملك فهو موكل عن طبيعة الكائن الآخر لا مشارك لهُ[٣٥] , وكان هؤلاء يتم أختيارهم من أرفع الطبقات القريبة دماً من الملك[٣٦] , حيث أن للآلهة الآخرين مرافقين يعنون بأخص حاجاتهم فيجوز للملك الإلهي أن يكون لهُ خدم وكهان مخولون بالعمل بإسمهِ , وكان لهم

ألقاب منها نقي اليدين , المرافق الأوحد , الجليس الخاص ....إلخ, وكان محاط بطاقة هائلة خطرة , وكذلك مسؤولياتهِ التي تتطلب علماً ومقدرة فوق طاقة البشر وهو سر الملكية المكتوم , وسبب الأنقلاب الذي حدث هو كشف سر الملكية المكتوم , مما أدى إلى تحطم الحكم وشاعت الفوضى وأدى إلى تضرع الحكم الإلهي : " لقد بلغ بالبلاد سوء الحال ان يسلب الملكية بضعة رجال لا أخلاق لهم .... وهاهو ذا سَّر البلاد المجهول المدى يفتضح وقصر الملك يقهر في ساعة من الزمن ... لقد أفتضحت أسرار ملوك مصر العليا والسفلى "[٣٧] .

ان عهد استقلال حكام الأقاليم وتحولها إلى إمارات واختلطت الوظائف الدينية بالمدينة وأصبح حاكم الإقليم أميراً قطاعي يرث وظيفتهُ ويرتبط بالملك بعلاقة التبعية , وهي علاقة تابع (ايماخ) , نتيجة عن عهد الولاء الصادر إليه من الملك والذي هو منحةٌ ملكية مضمونها الترخيص لحاكم الإقليم ممارسة سلطات الدولة داخل أقليمهُ وهذهِ العلاقة أو التبعية تشتد وتضعف تبعاً لقوة او ضعف الملك وظهرت علاقة أخرى هي علاقة الولاء بين حاكم الإقليم والإله المحلي للإقليم فضعف الملوك والرغبة بالاستقلالية دفعت هؤلاء إلى أحياء ديانات الآلهة المحلية واعتبارها صاحبة السلطان والسيادة في كل إقليم فأصبحوا (حكام الأقاليم) كهنة آلهة أقاليمهم بجانب كونهم كهنة لعبادة الملك فاصبح الامير يمارس سلطة الفرعون داخل أقليمهُ باعتبارهُ تابعً لهُ , وهو أيضاً يمثل إله الإقليم ومع الوقت طغت صفة أمير الإقليم كتابع للإله المحلي على صفتهِ تابعاً للملك , وتقطعت خيوط التبعية الواهية التي تربط الأمير بالملك وأعلن بعضهم (الأمراء) الاستقلال التام وعدم تبعيتهم[٣٨] , مما أدى إلى حدوث ثورة أجتماعية بسبب الأوضاع الاقتصادية والأجتماعية والسياسية تمثلت في تسلط حكام الأقاليم وفرضهم للضرائب وتسلطهم على كل الوظائف الهامة في البلاد وضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم فأصبحت الملكية ضعيفة والكهانة مستقلة[٣٩] .

وكان من نتاج الثورة الملكية الإلهية في عهد الدولة الوسطى (٢١٣٤-١٧٧٨ ق.م) عمت المساواة في الحقوق والواجبات وظهرت المساواة الأجتماعية[٤٠] , وأستعاد الملوك صفتهم الألوهية وأصبحوا من جديد محور الحياة الأجتماعية , وأصبح الملك هو المجسد للآلهة ماعت والحامل للصفة الإلهية بل الإله نفسه , وأزدادت سلطة الفرعون منذ عهد سنوسرت الثالث(١٨٧٩-١٨٤١ ق.م) , حيث قضى على حكام الأقاليم وجردهم من أمتيازاتهم وأخلع عنهم ألقابهم وأعادهم مجرد موظفين[٤١] , فأصبحت الملكية في هذا العصر قريبة من الشعب , وأصبحت تستشعر وجدانهُ وتحس بمشاعرهُ وتعمل من أجل رفاهيتهُ وخدمتهُ[٤٢] .

وتلت هذه الفترة عودة حالة الأنقسام وحكم الأجانب (الهكسوس ١٦٧٥-١٥٦٧ ق.م) وسيطرتهم بسبب تولي ملوك ضعاف من الأسرة الثالثة عشر (١٧٧٨-١٦٢٥ق.م) الأمر الذي

أدى إلى سيطرة الحكام الأجانب الذين أتخذوا القسوة في باديء أمرهم واهانوا معبوداتهم ((كانوا يعيثون في الأرض فساداً محطمين ما كان قائماً أنهم كانوا يحكمون دون الأعتراف بسلطان الإله رع , ولم تنفذ لرع رغبتة الإلهية ...))[٤٣] , ثم تمصروا وقلدوا ملوكهم فراعنة مصر في أزيائهم وألقابهم وتقاليدهم الملكية[٤٤] , ووجد اسم رع في الكثير من أسمائهم مثل عا–سر – رع – نب خيش رع – وعبدوا الإله سوتخ وهو احد مظاهر الإله ست[٤٥] , ثم أستعاد الملك والملوكية هيبتها التقليدية وتمسكت بما استمسكت بهِ الملكيات القديمة المستقرة من حيث الإصرار على المركزية الواسعة وادعاء الحكم الإلهي والقول بالوراثة المقدسة والنبوة للآلهة الكبار[٤٦] , وأصبح الإله آمون ومعناه الخفي الإله الأعظم بين كل الآلهة وارتبط بأهم إله للدولة القديمة وهو رع إله الشمس وصار أسمهما معاً آمون – رع في مقام الخالق الأعظم , فأن تغير الأسم حسب المكان وحسب رجال لاهوت كل مركز ديني أو عاصمةوبصورة عامة كان للملك وضعاً خاصاً في كل مراحل التاريخ المصري , فهو ليس بشراً عادياً , وأنما هو ذات مقدسة هو إله أو أبن إله أو مثل للإله على الأرض , وبعد وفاتهِ ينقل إلى زمرة الآلهة في العالم الأخرى , ويصبح واحداً منهم وكان تأليه الملوك شيئاً طبيعياً في العصور القديمة وله المحبة والأحترام حتى انهم ليتجنبوا ذكر أسمهُ , فكانوا يكتفون بالإشارة إليه بأنهُ ساكن البيت الكبير[٤٧] , فتطير طيوفه مباشرة فمن كان بشراً عادياً لا يستطيع التكلم مع الملك وانما يتكلم في حضرة الملك ويلجأ الى أساليب اللف والدوران ليتجنب الإشارة المباشرة إلى الملك (فلتسمع جلالتك)[٤٨] , وكان حق الخلود مقتصراً على الملك حيث كانت فكرة الخلود باهضة التكاليف (التحنيط) لا يقدر عليها أحد سوى الأثرياء , فكان الملك بإمكانهِ أن يهب الخلود لمن يشاء بان يسمح لهُ ببناء مقبرة ويساعدهُ على تجهيزها , أما الشعب فكان محروم من ذلك إلى أن أنتشرت عبادة أوزيريس فأتاحت الخلود للآخرين ولا تتطلب نفقات كثيرة ولم يكن الملك مستبداً مطلق اليدين لأنهُ كان يرعى شؤون رعيتهِ طبقاً لمقاييس العدل وتطبيقاً لمبادئ العدالة , وهو يخضع لنوع من الرقابة الشعبية ولا يفلت من المحاسبة بموتهِ , بل تتم نوع من المحاكمة وهو نفسه في النعش معرض للأتهام وأستنكار الجماهير لأي عمل سيء قام بهِ أثناء حكمهُ[٤٩] .

ويذكر ديودور الصقلي بان كثير من الملوك حرم حق الدفن الرسمي الذي تخولهُ لهم الشرائع , نتيجة أعتراض الشعب[٥٠] , فالحرمان من الدفن طبقاً للطقوس الرعية , كان يشكل تهديد للملك الذي ينحرف عن الجادة ويسقط في حمأة البغي والفساد[٥١] .

ولم يكونوا الملوك المصريين يعيشون على نمط الحكام المستبدين في البلاد لا يخضعون لرقابة ما , فقد رسمت لهم القوانين حدود لتصرفاتهم حتى في حياتهم الخاصة وأسلوب معيشتهم اليومية , فكانت ساعة النهار والليل مرتبة بحيث كان الملك يعمل في الوقت المخصص بالضبط

بما يفرضهُ القانون لا ما تدفعهُ إليه نفسه , ولم يكن يقضي بالخصومات أو يفرض عقوبة بأحد الناس مدفوعاً بكيد أو غيض أو ظلم بل عليه أن يتصرف وفق ما تنص عليه القوانين(٥٢) , كما ان الملك في مصر القديمة من مجمع الالهة اي ان روح الالهة قد نزلت وتجسدت في الفرعون ليحكم الناس وبما ان راس المجتمع والمسؤول عن ادارته الهاً فهذا يخلق شعوراً لدى المتمع بالامان والاطمئنان , اي ان المجتمع المصري عبد الملك بصفته الهاً لضمان الانسجام بينه وبين قوى الطبيعة(٥٣)

الخاتمة

اعتمد نظام الحكم في مصر القديمة على الملكية التي استندت على مبدأ الوهية الملك فهو الهة على الارض وهو الذي يقف امام مجمع الالهة في السماء والذي يكون مسؤول عن تطبيق العدل والنظام في ارض مصر .

وقد اختلفت مكان الملك في عصور مصر الفرعونية فبعد ان كان الهة مقدس واجب الطاعة لاوامره ونواهيه وكان للالوهية اقرب من الانسانية فمع سيطرة حكام الاقاليم على مقاليد الحكم بسبب الملوك الضعاف وحدوث الاضطرابات والثورة الاجتماعية قلت القدسية لملوك مصر القديمة واصبحوا للانسانية اقرب من الالوهية، لكن الملك بقي الهاً مقدساً مدافعاً عن مصر وشعبها ويقود جيشه في الحروب .

الهـــــوامش

* نظَامٌ سِيَاسِيٌّ يَخْضَعُ لِسُلْطَةِ الْمَلِكِ, والحكومة الملكيّة التي يرأسها ملكٌ يتولَّى المُلك بالوراثة غالبًا. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة, احمد مختار عمر , عالم الكتب– القاهرة, ط١, ٢٠٠٨, مج١,ص٢١٢٣.

(٢) نبيله محمد , معالم التاريخ السياسي والحضاري في مصر الفرعونية, ص١٤.

(٣) عماد الدين منير , الحكومات في العصور المختلفة,المركز القومي للاصدارات القانونية ,دار وليد للنشر والتوزيع –القاهرة ,٢٠٢١م, ط١, ص١٢٨.

(٤)نبيله محمد , معالم التاريخ السياسي والحضاري في مصر الفرعونية, ص٤١.

(٥)نبيله محمد , المصدر نفسه, ص٢٤.

(٦)ابراهيم رزقانه واخرون , حضارة مصر والشرق الادنى القديم, ص١٠٩.

(٧)نبيله محمد , معالم التاريخ السياسي والحضاري في مصر الفرعونية, ص١٤.

(٨)نخبة من العلماء , تاريخ الحضارة المصرية , ج١, ص٢١٢.

(٩)فرانكفورت, ما قبل الفلسفة, ص٧٩–٨٠.

(١٠)النشار, الفكر الفلسفي في مصر القديمة , ص٢٩.

فرانكفورت, ما قبل الفلسفة, ص ٦٤, ٦٥.

(١٢) نجيب ميخائيل , الشرق الادنى القديم (مصر), دار المعارف , مصر , ط٤ , ١٩٦٣ , ص١٣٠.

(١٣) عريان لبيب حنا, الشخصية المصرية في مصر القديمة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٣, ص٢١٤-٢١٥.

(١٤) محمود امهز , الشرق الادنى القديم, ص١٦٦.

(١٥) محمود عبدالحميد احمد, القيم الاخلاقية في مصر الفرعونية , رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة دمشق , كلية الاداب والعلوم والانسانية, ص ٣٧.

(١٦) محمود امهز , الشرق الادنى القديم, ص١٦٧.

(١٧) بيومي مهران , الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية , ص١٥٧.

(١٨) بيومي مهران , المصدر نفسه , ص١٦٤.

* هي مجموعة وصايا تركها الملك خيتى الرابع لابنه والتي تكاد ان تكون مرآة لاوضاع مصر الداخلية في تلك الفترة ويوضح فيها الملك ندمه على بعض الاخطاء التي وقعت منه وندمه على تلك الاخطاء لكي يبتعد عنه ابنه في المستقبل كما يوضح له مذهبه في الدين وهو ارضاء الالهة وتقديم القرابين .ينظر الحضارة المصرية ,بيومي مهران , ج١,ص٣١٠؛ كذلك الحضارة المصرية , سمير اديب, ص١١٦.

(١٩) بيومي مهران , المصدر نفسه , ص١٧٧.

(٢٠) فرانكفورت, ما قبل الفلسفة, ص١١٩-١٢٠.

(٢١) بيومي مهران , الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية , ص١٨١.

(٢٢) فرانكفورت, ما قبل الفلسفة, ص١٣٠.

(٢٣) برهان الدين دلو, حضارة مصر والعراق, ص٩٤.

(٢٤) أبو طالب , تاريخ النظم, ص٣٠٤ .

(٢٥) فرانكفورت , ما قبل الفلسفة, ص٨٩ .

(٢٦) فرانكفورت , المصدر نفسه, ص٨١ .

(٢٧) فرانكفورت ,المصدر نفسه, ص١٠٢, ص٨٢ .

(٢٨) امام ,عبد الفتاح إمام , الطاغية , مكتبة مدبولي , القاهرة ط٢, ١٩٩٧, ص٦٦ .

(٢٩) عريان لبيب, الشخصية المصرية, ص٢١١ .

(٣٠) امام عبد الفتاح , الطاغية, ص٦٧ .

(٣١) نجيب ميخائيل , مصر والشرق الادنى , ص٢٢٦ .

(٣٢) أديب, سمير , تاريخ وحضارة مصر القديمة,١٩٩٧, ص١٠٣ .

(٣٣) أديب, سمير , المصدر نفسه, ص١٠٦ .

(٣٤) لالويت, كلير,الفراعنة في زمن الملوك الالهة,ترجمة:ماهرجيوجاتى,المركز القومي للترجمة, القاهرة,ط١, ٢٠١٠, ص٢٠٤ .

(٣٥) كلير لالويت , المصدر نفسه, ص٢٠٦ .

(٣٦) فرانكفورت , ما قبل الفلسفة, ص٨٢ .

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

(٣٧) ديودور الصقلي, ديودور الصقلي في مصر, نقلهُ من اليونانية: وهيب ميخائيل, دار المعارف, ص١٢٠.
(٣٨) فرانكفورت, ما قبل الفلسفة, ص٩٤ .
(٣٩) أبو طالب , تاريخ النظم ,ص٣١٠ .
(٤٠) سمير أديب , تاريخ وحضارة مصر القديمة, ص١١١ .
(٤١) ابو طالب , تاريخ النظم, ص٣١٣ .
(٤٢) محمود أمهز ,تاريخ الشرق الادنى القديم , ص٢٢٢ .
(٤٣)نجيب ميخائيل, مصر والشرق الادنى ص٣٥٧.
(٤٤) سمير أديب , تاريخ وحضارة مصر القديمة, ص١٤٣ .
(٤٥) نخبة من العلماء , تاريخ الحضارة المصرية , ص١٠٢ .
(٤٦) سمير أديب , تاريخ وحضارة مصر القديمة, ص١٤٤ .
(٤٧) عبدالعزيز صالح , الشرق الأدنى القديم , ص٢٩٢ .
(٤٩) عريان لبيب, الشخصية المصرية, ص٢١١-٢١٥ .
(٥٠) فرانكفورت , ما قبل الفلسفة, ص٩٣ .
(٥١) عريان لبيب , الشخصية المصرية, ص٢١٣ .
(٥٢) ديودور الصقلي , الصقلي يتحدث عن مصر, ص ٧٦ .
(٥٣) عريان لبيب , الشخصية المصرية, ص٢١٣ .
(٥٤) عريان لبيب, المصدر نفسه, ص٢١٤ .
(٥٥) مزهر الخفاجي , تداول السلطة , ص٩٩.

قائمة المصادر

١- ميرسيا الياد, تاريخ المعتقدات والافكار الدينية, ترجمة: عبدالهادي عباس, دار دمشق- دمشق , ط١, ١٩٨٧.

٢- عماد الدين منير , الحكومات في العصور المختلفة,المركز القومي للاصدارات القانونية ,دار وليد للنشر والتوزيع -القاهرة ,٢٠٢١م, ط١

٣- نبيلة محمد عبدالحليم, معالم العصر التاريخي في العراق القديم, دار المعارف - القاهرة , ١٩٨٣م.

٤- رزقانه إبراهيم وآخرون, حضارة مصر والشرق القديم , دار مصر للطباعة , د.ت نخبة من العلماء,تاريخ الحضارة المصرية,مكتبة النهضة المصرية- القاهرة,د.ت

٥- هـ.فرانكفورت جون.اولسن, هـ.ا فرانكفورت توركيد جاكوبسن, ماقبل الفلسفة, ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا, المؤسسة العربية للدراسات العليا والنشر-بيروت, ١٩٨٠,ط٢

مجلة دراسات تاريخية Journal of Historical Studies

٦- مصطفى النشار , الفكر الفلسفي في مصر القديمة , الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر , ٢٠٠٤م ,ط١

٧- عريان لبيب حنا,الشخصية المصرية في مصر القديمة,الهيئة المصرية العامة للكتاب,٢٠٠٣

٨- امهز , محمود , تاريخ الشرق الأدنى القديم , دار النهضة العربية – مصر

٩- محمود عبدالحميد احمد, القيم الاخلاقية في مصر الفرعونية ,رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة دمشق , كلية الاداب والعلوم والانسانية

١٠-بيومي مهران, الثورة الأجتماعية الاولى في مصر الفراعنة, دار المعارف الجامعية-الاسكندرية,١٩٩٩

١١-دلو, برهان الدين , حضارة مصر والعراق "التاريخ الاقتصادي – الأجتماعي , الثقافي , والسياسي" , دار الفارابي – بيروت , ط١ , ١٩٨٩

١٢-امام ,عبد الفتاح إمام , الطاغية , مكتبة مدبولي , القاهرة ط٢, ١٩٩٧

١٣-ابراهيم, نجيب ميخائيل, مصر والشرق الأدنى, دار المعارف- مصر, ط٤, ١٩٦٣

١٤-أديب, سمير, تاريخ وحضارة مصر القديمة,١٩٩٧

١٥-ابو طالب, صوفي حسن, تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ,٢٠٠٧.

١٦-لالويت, كلير, الفراعنة في زمن الملوك الالهة, ترجمة: ماهر جيوجاتى, المركز القومي للترجمة, القاهرة, ط١, ٢٠١٠

١٧- ديودور الصقلي, ديودورالصقلي في مصر, نقلهُ من اليونانية: وهيب ميخائيل, دار المعارف ,د.ت.

١٨- صالح ,عبد العزيز ,الشرق الأدنى القديم مصر والعراق , مكتبة الأنجلو المصرية – مصر , ٢٠٠٢م

١٩- القيسي,محمد فهد,تداول السلطة في العراق القديم,تموز للطباعة والنشر- دمشق, ط١, ٢٠١١

٢٠- معجم اللغة العربية المعاصرة, احمد مختار عمر, عالم الكتب-القاهرة, ط١, ٢٠٠٨, مج١.